المقالة الثالثة والأربعون

علماء السوء

ما لعُلماء السُّوء جمعوا عزائمَ الشَّرع ودوَّنوها، ثم رخَّصوا فيها لأمراء السُّوءِ وهوَّنوها، ليتَهُم إذ لم يَرْعَوْا شروطها لم يعُوها، وإذ لم يُسمِعوها كما هي لم يَسمَعوها، إنما حفظوا وَعَلَّقوا وصفَّقُوا وحلَّقُوا[١] ليقمُرُوا المال وَيَيْسِرُوا، ويفقِروا الأيتام وَيُوسِرُوا، إنما أنْشَبُوا أظفارَهم في نَشَبٍ فمن يُخَلِّص، وإن قالوا: لا نفعل أَوْ يُزاد كذا فمن يُنقِّص، دراريعُ ختّالَة[٢] مِلْؤها ذراريحُ[٣] قتَّالة، وأكمامٌ واسعةٌ فيها أصلالٌ لا سِعَةٌ[٤]، وأقلامٌ كأنَّها أزلامٌ[٥] وفتوى يعمل بها الجاهل فَيَتْوَى[٦]، فإن وازَنْتَ بين هؤلاءِ والشُّرَط وَجَدْتَ الشُّرَط أبعد من الشَّطط حيث لم يطلبوا بالدين الدنيا، ولم يثيروا الفتنةَ بالفُتيا[٧].

(١) أي إنما حفظوا العلم وعلَّقوا ألفاظه وصفَّقوا في دروسهم وجمعوا حولهم الناس في الحلقات ليأخذوا أموال الناس بالباطل.

(٢) دراريع: الثياب من الصوف، ختَّالة: خدَّاعة.

(٣) ذراريح: مفردها ذُرَّاح وهو ذباب أحمر منقط بسواد وهو قاتل إذا جفِّف وسُحق استعمل في الطب.

(٤) أصلالٌ لاسعة: حياتٌ لاذعة.

(٥) الأزلام: مفردها زلم وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلة لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة ومثلها خط الرمل والحساب بالمسبحة.

(٦) فيتوى: فيهلك.

(٧) يقصد الزمخشري ذاك النوع من العلماء الذين يبيعون دينهم بعرضٍ من الدنيا فَضَلُّوا وأَضَلُّوا. ثم لا يجدون يوم القيامة ريح الجنة.